تقديم مركز نهوض للدراسات والبحوث

الفتوى والاستفتاء والسؤال... كلها صِيغٌ تدلُّ على السعي إلى الحصول على معرفةٍ ما بشأن أمرٍ من أمور الحياة، سواء كان هذا الأمر دينيًّا أو اجتماعيًّا أو اقتصاديًّا أو سياسيًّا أو غير ذلك من الأمور. وقد وردت تلك الصيغ كلها في القرآن الكريم والأحاديث المرويَّة عن النبي ﷺ. ولكن ربما كان السؤالُ أعمَّ من الاستفتاء؛ فقد جاء في القرآن السؤالُ عن الروح والأهلَّة وعن الساعةِ والجبال...إلخ. أما الاستفتاء فسؤالٌ الغايةُ منه معرفة الحكم الشرعي في أمرٍ من الأمور، وهو سؤالٌ عن دقيق المسائل التي تحتاج إلى إعمال العقل وقدح الذهن. والفتوى لغةً هي الإبانة أو «تبيينُ المُشكِل من الأحكام» كما جاء في **لسان العرب**.

ونظرًا لتشعُّب مسالك الحياة ودروبها وانهماك أهلها فيها، كان أكثر الناس في كدِّهم وكدحهم اليومي في شُغلٍ عن التعمُّق في فهم دقائق الأحكام الشرعية، ومن ثَمَّ احتاجوا إلى سؤال أهل العلم عن تلك المسائل، امتثالًا للأمر القرآني الصريح بذلك، ولكي يمضوا في حياتهم على بصيرةٍ وهُدًى، مع انقيادٍ لأمر الشارع وتحقيق مُراده منهم.

وقد كان للإفتاء على مدار التاريخ الإسلامي دورُه البارز في توجيه المسلمين من حُكّام وعوامّ، وإرشادهم إلى ما فيه خير الدنيا والدين؛ بما يترتَّب عليه من تنظيم المجتمع على أُسسٍ سليمة تعضد بناءه وترسِّخ أركانه، بتعاون أبنائه فيما بينهم وقد عرَف كلٌّ منهم ما له وما عليه، وأدرك حدوده ودوره في بناء ذلك المجتمع المنشود. ونظرًا لهذا الدور المحوري للفتوى والمفتين، فقد نُظِرَ إلى هؤلاء العلماء بوصفهم من ذوي الاجتهاد العلمي؛ إذ الإفتاء ثمرةٌ من ثمرات الاجتهاد وفرعٌ عن رسوخ القَدَم في العلم. حتى رأى كثيرون أن هؤلاء العلماء ينطقون بـ«اسم الله»، و«يوقّعون عن ربّ العالمين»، كما يتجلَّى في عنوان الكتاب الشهير للإمام ابن قيم الجوزية: **إعلام الموقّعين عن ربّ العالمين**.

وانطلاقًا من هذا الدور الأكيد للفتوى في حياة المجتمعات المسلمة، اهتمَّ الباحثون الراغبون في التعرُّف على طبيعة تلك المجتمعات وفهمها ببحث هذا الدور وتقصِّي معالمه، ومعرفة أثر الفتاوى وعملية الإفتاء نفسها في توجيه المسلمين فُرادى وجماعات. ويرى كثيرٌ من العلماء المعاصرين أن مجتمعات اليوم أشدُّ حاجةً من سابقتها إلى من يضطلع بمهمة الإفتاء، فضلًا عن تعليم الناس أدبَ السؤال والاستفتاء ابتداءً. ومما يرتبط بتلك المجتمعات المركَّبة أيضًا تنظيمُ الأسئلة وتصنيفها ما بين خاصّ وعامّ، وما بين أسئلة تُطرَح على مُفتٍ فردٍ أو تلك التي تحتاج إلى مجامع فقهية وهيئات جماعية للفتوى. وإذا صَدَق هذا عند الحديث عن عموم المجتمعات الإسلامية، فإنه أصدقُ فيما يتصل بالجاليات المسلمة في البلدان غير الإسلامية، لخصوصيتها وتعقُّد سياقاتها الاجتماعية والاقتصادية. ومن هنا جاء اهتمام الباحثين الغربيين بتناول دور الفتوى ومسار عملية الإفتاء في أوروبا وأمريكا. ومن هؤلاء الباحثة النرويجية لينا لارسن، التي اعتنقت الإسلام، ودرست قضايا المجتمع الإسلامي في بلدها وفي القارة الأوروبية عمومًا، وأعدَّت أطروحتها للدكتوراه عن مسألة الإفتاء في قضايا المرأة المسلمة في أوروبا الغربية، وأبرز المفتين وهيئات الفتوى التي طُرحت عليها أسئلة تتعلَّق بقضايا المرأة.

وتتناول لارسن في هذا الكتاب الفتاوى المتعلقةَ بقضايا المرأة في أوروبا الغربية، الصادرة في العقود الأخيرة، سواء من مفتين أفراد أو هيئات جماعية للفتوى، أبرزها «المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث» في أيرلندا. واستنادًا إلى تلك الأسئلة الواردة من النساء المسلمات هناك، تتبيَّن حالة الاضطراب والتمزُّق التي تسيطر عليهنَّ بين منظورين مختلفين لدور المرأة ومكانتها في المجتمع: **أولهما** يرى المرأة تابعًا للرجل عليها طاعته، وإن كان الطرفان متساويين في القيمة لا في الحقوق، **والآخر** يؤكِّد على حقوق المرأة ومساواتها بالرجل في كل جوانب الحياة بتأثيرٍ من الثقافة الأوروبية. وتتناول المؤلفة في هذا الكتاب مُفتين يعتبرون عُنصرَي الزمان والمكان وتغيُّرهما، وتغيُّر الفتوى تبعًا لذلك؛ ومن ثَمَّ فهم يستهدفون تطويرَ فقه إسلامي أوروبي يؤلِّف بين القِيَم الإسلامية وخصوصية المجتمع الأوروبي، فينأى بنفسه عن

التشـنُّج والانغلاق في تناول القضايا الجدلية، اسـتنادًا إلى فقه الأقليات الذي يوجِّه كثيرًا من المُفتين في السياق الأوروبي. كما تعقد المؤلفة مقارنةً منهجيةً بين مقاصد الشريعة و«الأخلاق العامَّة» التي تسود تلك المجتمعات الأوروبية الحديثة.

وتأتـي ترجمـة هذا الكتـاب في إطار اهتمـام **مركز نهوض للدراسـات والبحوث** بدراسـات الفتـوى والدراسـات الفقهيـة، وقد أصـدر المركز في هذا الإطـار: كتاب «**إسـلام الدولـة المصريـة: مفتـو وفتـاوى دار الإفتاء**» للباحـث الدنماركـي جاكوب سكوفغارد-بيترسـن، و«**الخطـاب الفقهـي والتحيـزات السياسـية**»، للدكتـور أحمـد مرعي المعماري، و«**إحياء التشريع الإسلامي**» للباحث الأمريكي ليونارد وود، و«**أثر مدرسـة الحقـوق الخديوية فـي تطوير الدراسـات الفقهيـة**» للدكتور محمـد إبراهيم طاجـن، و«**أنثروبولوجيـا الفقه الإسـلامي: التعليـم والأخلاق والاجتهـاد الفقهي في الأزهر**» للباحث الأمريكي آريا نكيسـا، و«**الفقه والدولة والسـلطان: الدولة العثمانية وصناعة الفقه الإسـلامي**» للدكتور سـامي عبـد الله أيوب، و«**المرونـة الفقهية ومنزلة الشـريعة**» لمجموعـة مـن الباحثيـن؛ وأخيـرًا «**مرجـع أكسـفورد في الفقه الإسـلامي وأصولـه وتاريخـه**» الـذي جـاء فـي مجلديـن كبيرين لا غنـى عنهمـا لأي باحثٍ في الدراسات الفقهية والشرعية.